



### التفسير: نشأته و تطوره (3)

نویسنده: معرفت، محمد هادی

علوم قرآن و حدیث :: رسالة القرآن :: فروردین 1371 - شماره 8

از 43 تا 54

آدرس ثابت : <http://www.noormags.com/view/fa/articlepage/3825>

دانلود شده توسط : جعفر رضانی

تاریخ دانلود : 1393/06/04 01:31:23

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائه مجلات عرضه شده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه [قوانین و مقررات](#) استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.



پایگاه مجلات تخصصی نور

## التفسير نشأته وتطوره

### القسم الثالث

الشيخ محمد هادي معرفة

بيت النبوة، ورباه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فأحسن تربيته. ومن ثم كان من المتفانين في ولاء الإمام (عليه السلام). وقد صرح قوله: «ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب». هذا في أصول التفسير وأساسه، وكان يراجع سائر الأصحاب ممن يحتمل عنده شيء من أحاديث الرسول وسننه، مجدداً في طلب العلم مهما كلف الأمر. فكان يأتي أبواب الأنصار ممن عنده علم من الرسول، فإذا وجد أحدهم نائماً كان ينتظره حتى يستيقظ وربما تسفى على وجهه الريح، ولا يكلف من يوقظه هو على دأبه فيسأله عما يريد وينصرف، وبذلك كان يستعويض عما فاتته من العلم أيام حياة النبي لصغره، باستطراق أبواب العلماء من صحابته الكبار.

أما عبدالله بن عباس، فهو حبر الأمة وترجمان القرآن، وأعلم الناس بالتفسير تنزيله وتأويله، وتلميذ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد بلغ من العلم مبلغاً قال في حقّه الإمام أمير المؤمنين: «كانما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق!» ولا غرو، فإنه دعاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بشأته: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، أو قوله: «اللهم علمه الكتاب والحكمة»، أو: «اللهم بارك فيه وأنشر منه». (١)

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «ولكل شيء فارس، وفارس القرآن ابن عباس». (٢)  
ولد في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، فحنكه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) -وبارك له- فتربى في حجره، وبعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد لازم



مات بالطائف سنة ٦٨ هـ. وقد  
ناهز السبعين، وصلى عليه محمد بن  
الحنفية. (٣)

روى أبو عمرو محمد بن عمر بن  
عبد العزيز الكشي بإسناده إلى عبد الله  
بن عبد ياليل -رجل من أهل الطائف-  
قال: أتينا ابن عباس (رحمه الله) نعوذه في  
مرضه الذي مات فيه، فأغمى عليه  
فأخرج إلى صحن الدار، فأفاق وقال  
كلمته الأخيرة:

إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)  
أنبأني أني سأهجر هجرتين، فهجرة مع  
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهجرة مع  
علي (عليه السلام) وأمرني أن أبرأ من خمسة:  
من الناكثين وهم أصحاب الجمل، ومن  
القاسطين وهم أصحاب الشام، ومن  
الخوارج وهم أهل النهروان، ومن  
القدرية... ومن المرجئة... ثم قال:

«اللهم إني أحيى على ما حيى عليه  
علي بن أبي طالب. وأموت على ما مات  
عليه علي بن أبي طالب...» ثم مات،  
رحمه الله. (٤)

وهذا الذي رواه الكشي عن رجل  
من أهل الطائف (عبد الله بن عبد ياليل)،  
رواه أبو القاسم علي بن محمد الخزاز

قيل لطاووس: لزمتم هذا الغلام  
-يعني ابن عباس لكونه أصغر الصحابة  
يومذاك- وتركت الأكابر من أصحاب  
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال: إني  
رأيت سبعين رجلاً من أصحاب رسول  
الله، إذا تدارؤا في أمر صاروا إلى قول  
ابن عباس!

وعن عبيد الله بن علي بن أبي رافع،  
قال: كان ابن عباس يأتي جدّي أبا رافع،  
فيسأله عما صنع النبي (صلى الله عليه وآله  
وسلم) يوم كذا، ومعه من يكتب له ما يقول.

قال مسروق بن الأجدع: كنت إذا  
رأيت ابن عباس قلت: أجل الناس، فإذا  
نطق قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث  
قلت: أعلم الناس.

وقال أبو بكر: قدم علينا ابن عباس  
البصرة، وما في العرب مثله حشماً وعلماً  
وثياباً وجمالاً وكمالاً.

وقد لقب حبر الأمة والبحر لكثرة  
علمه، وترجمان القرآن ورباني هذه الأمة  
لاضطلاع به معاني القرآن ووجوه السنة  
والأحكام.

وله مواقف مشهودة مع الإمام  
أمير المؤمنين (عليه السلام) في جميع حروبه  
صفيين والجمل والنهروان.

الرازي (من وجه العلماء في القرن الرابع) في كتابه (كفاية الأثر) بصورة أوسع بإسناده إلى عطاء، قال: دخلنا على عبدالله بن عباس وهو عليل بالطائف في العلة التي توفى فيها، ونحن زهاء ثلاثين رجلاً من شيوخ الطائف، وقد ضعف. فسلمنا عليه وجلسنا. فقال لي: يا عطاء! من القوم؟ قلت: يا سيدي! هم شيوخ هذا البلد! منهم عبدالله بن سلمة بن حصرم الطائفي، وعمارة بن أبي الأجلح، وثابت بن مالك... فما زلت أعدّ له واحداً بعد واحد. ثم تقدّموا إليه فقالوا: يا بن عم رسول الله! إنك رأيت رسول الله وسمعت منه ما سمعت، فأخبرنا عن اختلاف هذه الأمة، فقومٌ قدّموا علياً على غيره، وقوم جعلوه بعد الثلاثة!

قال عطاء: فتنفّس ابن عباس الصعداء، فقال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «عليّ مع الحقّ والحقّ معه، وهو الإمام والخليفة من بعدي، فمن تمسّك به فاز ونجى، ومن تخلف عنه ضلّ وغوى...»، وأخيراً قال: وتمسكوا بالعروة الوثقى من عترة نبيكم، فإنني سمعته يقول: «من تمسّك بعترتي من بعدي كان من الفائزين».

قال عطاء: ثم بعد ما تفرق القوم، قال لي: يا عطاء! خذ بيدي واحملي إلى صحن الدار، فأخذنا بيده أنا وسعيد، وحملناه إلى صحن الدار، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهمّ إنني أتقرب إليك بمحمّد وآل محمّد، اللهمّ إنني أتقرب إليك بولاية الشيخ عليّ بن أبي طالب...»، فما زال يكرّرها حتى وقع إلى الأرض، فصبرنا عليه ساعة ثم أقمناه، فإذا هوميّت، رحمة الله عليه.<sup>(٥)</sup>

وله في فضائل أهل البيت ولاسيما الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أقوال وأثار باقية، إلى جنب مواقفه الحاسمة. ويكفيك أنه من رواة حديث الغدير الناصّ على ولاية عليّ بالأمر، ومفسّر له بالخلافة والوصاية بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مقرّ على ذلك.

أخرج الحافظ السجستاني بإسناده عن ابن عباس، قال: «وجبت والله في أعناق القوم...»<sup>(٦)</sup>، وأما مواقفه بشأن الدفاع عن حريم أهل البيت فكثير...<sup>(٧)</sup> وأخيراً فإنه هو القائل: «إن الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب الذي كان فيه فصل الخطاب!

أهل البيت (عليهم السلام)<sup>(١٢)</sup>. وفي رواية: أنه كَفَّ بصره قبل وفاته، بسنة ١٢ وكانت وفاته عام ٦٨، وعليه - إن صحَّت الرواية - فقد كانت سنى الإمام أبي جعفر حينذاك بين السادسة والسابعة.

قال العلامة في الخلاصة: عبد الله بن العباس من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان محباً لعلي (عليه السلام) وتلميذه. حاله في الجلالة والإخلاص لأئمة المؤمنين أشهر من أن يخفى. وقد ذكر الكشي أحاديث تتضمن قدحاً فيه، وهو أجل من ذلك.

وقد حمل السيد ابن طاووس في تحرير الطاووسي ما ورد في جرحه بعد تضعيف الإسناد على الحسد، قد صدر من الحاسدين الحاقدين عليه، قال: ومثل حبر الأمة (رضوان الله عليه) موضع أن يحسده الناس وينافسوه، ويقولوا فيه ويباهتوه. حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله

الناس أعداء له وخصوم  
كضرائر الحسنة قلن لوجهها  
حسداً وبغياً: إنه لذميم  
\* \* \*

وقد بحث الأئمة النقاد عن روايات القدح، ولا سيما ما قيل بشأنه من

وأيضاً قوله: «يوم الخميس، ما يوم الخميس!». ثم بكى حتى بل دمه الحصى... إلى غير ذلك مما لا يحصى.<sup>(٨)</sup>  
الأمر الذي ينبؤك عن مدى صلته بهذا البيت الرفيع ومبلغ ولائه وعرفانه بشأن آل الرسول (صلوات الله عليهم أجمعين).<sup>(٩)</sup>  
ومن ثم كان الأئمة من ذرية الرسول (عليهم السلام) يحبونه حباً جماً ويعظمون من قدره ويشيدون بذكره.

روى المفيد في كتاب الإختصاص بإسناده إلى الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: كان أبي الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) يحبه (أي ابن عباس) حباً شديداً، وكان أبي وهو غلام تلبسه أمه ثيابه، فينطلق في غلمان بني عبد المطلب... فأتاه (أي ابن عباس) بعد ما أصيب بصره، فقال: من أنت؟ قال: أنا محمد بن علي بن الحسين بن علي... فقال: حسبك، من لم يعرفك فلا عرفك<sup>(١٠)</sup>  
أي: يكفي أنني أعرفك من أنت!

كانت ولادة الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، سنة ٦٠ - على قول راجح<sup>(١١)</sup> - قبل واقعة الطف (عام ٦١) بسنة وقد كَفَّ بصر ابن عباس بعد واقعة الطف لكثرة بكائه على مصائب

## توسعه في التفسير

ولم تمض العشرة الأولى من وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا ونرى ابن عباس قد تفرغ للتفسير واستنباط معاني القرآن<sup>(٧)</sup>، بينما سائر الصحابة كانوا قد شغلهم شؤون شتى مما يرجع إلى جمع القرآن أو إقرائه، أو تعليم السنن والقضاء بين الناس، والتصدي لسياسة البلاد، وما شاكل... وإذا يابن عباس نراه صارفاً همته في فهم القرآن وتعليمه واستنباط معانيه وبيانه، مستعاضاً بذلك عما فاتة أيام حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لكان صغره وعدم كفاءته ذلك الحين. فكان يستطرق أبواب العلماء من الصحابة الكبار كاداً وجاداً في طلب العلم من أهله أينما وجد، ولا سيما من الإمام أمير المؤمنين باب علم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). كما لم يفته عقد الحلقات في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لمدارسة علوم القرآن ومعارفه ونشر تعاليم الإسلام من أقخم بؤرته القرآن، ويقال: إن ذلك كان بأمر من الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وبذلك فقد تحقق بشأنه دعاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) «اللهم بارك فيه وأنشر منه!»

الهروب ببيت مال البصرة، وما ورد من التعنيف لفعله ذلك، فاستخرجوا في نهاية المطاف من ذلك دلائل الوضع والإختلاق بشأن هذا العبد الصالح الموالي لآل بيت الرسول. نعم، كان الرجل ممقوتاً عند رجال السلطة الحاكمة لاسيما أنه كان يجابههم بما يخشون صراحتة وصرامته ولذا كان طاغية العرب معاوية ضمن نفر الخمسة الذين كان يلعنهم في قنوته<sup>(١٤)</sup> وكان ذلك من شدة قنوطه من رحمة الله، عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وللمولى محمد تقي التستري (ادام الله الله) تحقيق لطيف بشأن براءة الرجل من إلصاق هكذا تهم مفضوحة، وإنه لم يزل في خدمة المولى أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يبرح البصرة حتى قتل الإمام (عليه السلام)، وكان من المحرضين على بيعة الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)، وبعد أن تمّ الصلح اضطرّ إلى المغادرة إلى بيت الله الحرام حتى توفاه الله، عليه رضوان الله.<sup>(١٥)</sup>

ولسيدنا الأستاذ العلامة الفاني (رحمة الله عليه) رسالة وجيزة في براءة الرجل، استوفى فيها الكلام بشأنه. جزاه الله خيراً عن الحق وأهله.<sup>(١٦)</sup>

غير أن شهرة ابن عباس في التفسير والخريجين من مدرسته جعلته في قمة علوم التفسير، وهذا المأثور الضخم من التفسير الوارد عنه أو عن أحد تلامذته المعروفين، وهم كثرة عدد نجوم السماء، مما يفرض من مقامه الرفيع في أعلى ذروة التفسير، منه يصدر وعنه كل مأثور في هذا الباب.

ولقد كان موضع عناية الأمة ولا سيما الكبار والأئمة من الصحابة ومن عاصره وممن لحقه على مدى الأحقاب. فما أكثر ما يدور اسمه في كتب التفسير على اختلاف مبانيها ومناهجها، وتنوع مسالكها ومنازعاتها في السياسة والمذهب... قال الدكتور الصادي: ولعل في كثرة ما وضع ونسب إليه آية على تقدير له، وإكبار من الوضاع، ورغبة في تنفق بضاعتهم، موسومة بمن في اسمه الرواج العلمي... (٣١)

### منهجه في التفسير

كان ابن عباس تلميذ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومنه أخذ العلم وتلقى التفسير، سواء في أصول مبانيه أم في فروع معانيه، فقد سار على منهج

لكن بموازاة انتشار العلم منه في الآفاق، راج الوضع على لسانه لمكان شهرته في التفسير. ومن ثم فإن التشكيك في أكثر المأثور عنه أمر محتمل. قال الأستاذ الذهبي: روي عن ابن عباس في التفسير ما لا يحصى كثرة، وتعددت الروايات عنه واختلفت طرقها. فلا تكاد تجد آية من كتاب الله إلا ولابن عباس فيها قول مأثور أو أقوال. الأمر الذي جعل نقاد الأثر ورواة الحديث يقفون إزاء هذه الروايات التي جاوزت الحد وقفة المرتاب. (١٨)

قال جلال الدين السيوطي: ورأيت في كتاب فضائل الإمام الشافعي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن شاذان القطان أنه أخرج بسنده من طريق ابن عبد الحكم، قال: سمعت الشافعي يقول: «لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه مائة حديث». (١٩)

وذكر ابن حجر العسقلاني: أن البخاري لم يخرج من أحاديث ابن عباس في التفسير وغيره سوى مائتين وسبعة عشر حديثاً... بينما يذكر أن ما خرجه من أحاديث أبي هريرة الدوسي، يبلغ أربعمائة وستة وأربعين حديثاً. (٢٠)

القرآن نزل بلغتهم وعلى أساليب كلامهم المعروف.

وفيه أيضاً نكات ودقائق عن مسائل المبدأ والمعاد وعن فلسفة الوجود وأسرار الحياة، لا يبلغ كنهها ولا يعرفها على حقيقتها غير أولي العلم ممن وقفوا على أصول المعارف، وتمكنوا من دلائل العقل والنقل الصحيح.

وبقى من المتشابه ما لا يعلمه إلا الله، إن أريد به الحروف المقطعة في أوائل السور، حيث هي رموز بين الله ورسوله، لم يطلع عليها أحداً من العباد سوى النبي والصفوة من آله، علمهم إياها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وإن أريد به ما سوى ذلك مما وقع متشابهاً من الآيات، فإنه لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم، وهم: رسول الله والعلماء الذين استقوا من منهل عذبه الفرات، لا سبيل إلى معرفتها عن غير طريق الوحي. فالعلم به خاص بالله ومن ارتضاه من صفوة خلقه.

وعلى ضوء هذا التقسيم الرباعي يمكننا الوقوف على مباني التفسير التي استند إليها ابن عباس في تفسيره العريض:

مستقيم في استنباط معاني القرآن الكريم. إنه لم يحد عن منهج السلف الصالح في تفسير القرآن وفهم معاني كتاب الله العزيز الحميد، ذلك المنهج الذي رست قواعده على أسس قويمة ومبان حكيمة.

وقد حدّد ابن عباس معالم منهجه في التفسير بقوله: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله»<sup>(٣٢)</sup>

وقد فسّرتة رواية أخرى عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «أنزل القرآن على أربعة أحرف: حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تفسيره العرب، وتفسير تفسّره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله...»<sup>(٣٣)</sup>

فالقرآن فيه مواعظ وأداب وتكاليف وأحكام، يجب على المسلمين عامّة المعرفة بها والعمل عليها، لأنها دستور الشريعة العام.

فهذا يجب تعليمه وتعلمه، ولا يعذر أحد بجهالته.

وفيه أيضاً غريب اللغة ومشكلها، ممّا يمكن فهمها وحلّ معضلها بمراجعة الفصيح من كلام العرب الأوائل، لأن



أولاً:مراجعة ذات القرآن في فهم مراده إذ خير دليل على مراد أي متكلم هي القرائن اللفظية التي تحفّ كلامه، والتي جعلها مسانيد نطقه وبيانه، وقد قيل: للمتكم أن يلحق بكلامه ما شاء ما دام متكلماً. هذا في القرائن المتصلة. . . وكثيراً ما يعتمد المتكلمون على قرائن منفصلة من دلائل العقل أو الأعراف الخاصة أو ينصب في كلام آخر له ما يفسّر مراده من كلام سبق. كما في العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد. فلو عرفنا من عادة متكلم اعتماده على قرائن منفصلة، ليس لنا حمل كلامه على ظاهره البدائي، قبل الفحص والياس عن صوارفه.

والقرآن من هذا القبيل، فيه من العموم ما كان تخصيصه في بيان آخر، وهكذا تقييد مطلقاته وسائر الصوارف الكلامية المعروفة. . .

وليس لأي مفسّر أن يأخذ بظاهر آية ما لم يفحص عن صوارفها وسائر بيانات القرآن التي جاءت في غير آية، ولا سيّما والقرآن قد يكرّر من بيان حكم أو حادثة، ويختلف بيانه حسب الموارد، ومن ثم يصلح كل واحد دليلاً وكاشفاً لما

أبهم في مكان آخر.

هكذا نرى مفسّرنا العظيم عبدالله بن عباس يجري على هذا المنوال، وهو أمتن المجاري لفهم معاني القرآن، ومقدم على سائر الدلائل اللفظية والمعنوية، فلم يغفل النظر إلى القرآن نفسه في توضيح كثير من الآيات التي خفى المراد منها في موضع، ثم وردت بشيء من التوضيح في موضع آخر، شأنه في ذلك شأن سائر المفسّرين الأوائل الذين ساروا على هدي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

فمن هذا القبيل ما رواه السيوطي بأسانيده إلى ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَبْتَنَا اثْنَتَيْنِ...﴾ (غافر: ١١)، قال: كنتم أمواتاً قبل أن يخلقكم، فهذه ميتة، ثم أحياكم، فهذه حياة، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور، فهذه ميتة أخرى، ثم يبعثكم يوم القيامة، فهذه حياة.

فهما ميتتان وحياتان، فهو كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمُوتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٨).

وهكذا أخرج عن ابن مسعود وأبي مالك وقتادة أيضاً. (٣٤)

## ثانياً: رعايته لأسباب النزول

ولأسباب النزول دورها الخطير في فهم معاني القرآن، حيث الآيات والسور نزلت نجوماً وفي فترات وشؤون يختلف بعضها عن بعض. فإذا كانت الآية تنزل لمناسبة خاصة ولعلاج حادثة وقعت لوقتها، فإنها حينذاك ترتبط معها ارتباطاً وثيقاً، ولولا الوقوف على تلك المناسبة لما أمكن فهم مرامي الآية بالذات. فلا بد لدارس معاني القرآن أن يراعي قبل كل شيء شأن نزول كل آية ويهتم بأسباب نزولها. هذا إذا كان لنزولها شأن خاص، فلا بد من النظر والفحص.

وهكذا اهتم حبر الأمة بهذا الجانب، واعتمد كثيراً لفهم معاني القرآن على معرفة أسباب نزولها، وكان يسأل ويستقصي عن الأسباب والأشخاص الذين نزل فيهم قرآن وسائر ما يمس شأن النزول، وهذا من امتيازه الخاص الموجب لبراعته في التفسير.

وقد مرّ حديث إتيانه أبواب الصحابة يسألهم الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) <sup>(٢٥)</sup> أنه كان حريصاً على طلب العلم لا يشعب.

من ذلك ما رواه جماعة كبيرة من

أصحاب الحديث، بإسنادهم إلى ابن عباس، قال: لم أزل حريصاً أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اللتين قال الله تعالى بشأنهما: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (التحریم: ٤) حتى حجّ عمر وحجبت معه، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالأداة، فتبرز ثم أتى، فصبيت على يديه فتوضأ، فقلت: يا أمير المؤمنين! من المرأتان من أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اللتان قال الله: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ فقال: وا عجباً لك يا ابن عباس! هما عائشة وحفصة! <sup>(٢٦)</sup>

وفي تفسير القرطبي (١: ٢٦) قال ابن عباس: مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما يمنعني إلا مهابته فسألته فقال: هما حفصة وعائشة! ولقد بلغ في ذلك الغاية، حتى لنجد اسمه يدور كثيراً في أقدم مرجع بين أيدينا عن سبب النزول، وهو سيرة ابن إسحاق التي جاء تلخيصها في سيرة ابن هشام...

قال: وكان ابن عباس يقول فيما بلغني: نزل في النضر بن حارث ثمان

آيات من القرآن؛ قوله تعالى: ﴿إِذَا تَنَلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (القلم: ١٥). وكل ما ذكره فيه من الأساطير من القرآن. (٢٧)

قال: وحدثت عن ابن عباس أنه قال -وسرد قصة سؤال أحبار اليهود النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عند مقدمة المدينة-: فأنزل الله عليه فيما سأله عنه من ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ...﴾ (لقمان: ٢٧).

قال: وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه من تسيير الجبال: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ...﴾ (الزّعد: ٢١).

قال: وأنزل عليه في قولهم: خذ لنفسك: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ...﴾ (الفرقان: ٧). وأنزل عليه في ذلك من قولهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنْهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ...﴾ (الفرقان: ٢٠). وكذا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا...﴾ (الإسراء: ١١٠). إنما أنزلت من أولئك النفر... (٢٨)

وهكذا يتابع ذكر أسباب نزول آيات، وفي الأكثر يسندها إلى ابن عباس. وقد برع ابن عباس في هذه الناحية

من نواحي أدوات التفسير، حتى كان يخلص أي القرآن المدني من المكي. فقد سأل أبو عمرو بن العلاء مجاهدًا عن تلخيص أي القرآن المدني من المكي، فقال: سألت ابن عباس عن ذلك، فجعل ابن عباس يفصلها له.

وهكذا نجد ابن عباس بدورة قد سأل أبي بن كعب عن ذلك. (٢٩)

كما تقصّى أسباب النزول فأحسن التقصي، فكان يعرف الحضري من السفري، والنهاري من الليلي، وفيم أنزل وفيم أنزل ومتى أنزل وأين أنزل، وأول ما نزل وآخر ما نزل وهلم جرا... (٣٠) مما يدل على براعته ونبوغه في التفسير!

### ثالثاً: اعتماد المأثور من التفسير

#### المروي

اعتمد ابن عباس في تفسيره على المأثور عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والطيبين من آله المنتجبين، وأصحابه، وقد أسلفنا تتبعه عن آثار الرسول وأحاديثه، كان يستطرق أبواب الصحابة العلماء، ليأخذ منهم ما حفظوه من سنة النبي وسيرته الكريمة. وقد جدّ في ذلك واجتهد مبلغ سعيه وراء طلب العلم

والفضيلة حتى بلغ أقصاها، وقد سئل:  
أَنْتَى أدركتَ هذا العلم؟ فقال: بلسانِ سننول  
وقلب عقول. (٣١)

هو حينما يقول: «جَلَّ ما تعلّمت من  
التفسير من عليّ بن أبي طالب» (٣٢)، أو:  
«ما أخذت من تفسير القرآن فعن عليّ بن  
أبي طالب» (٣٣) إنما يعني اعتماده المأثور  
من التفسير، إذا كان الأثر صحيحاً  
صادراً من منبع وثيق.

وهكذا عندما كان يأتي أبواب  
الصحابة بنية العثور على أقوال النبيّ في  
مختلف شؤون الدين، ومنها المأثور عنه  
في التفسير، إن ذلك كلّه لدليل على مبلغ  
اعتماده على المنقول صحيحاً من التفسير.  
فهو عند كلامه الأنف إنما يلقي الضوء  
على تفاسيره بالذات وأنها من النمط  
النقلي في أكثره، وإن كان لا يصرح به  
في الموارد بعد إعطاء تلك الكلية العامة.

### الهوامش

- (١) الإصابة ٢: ٣٣٠-٣٣٤، أسد الغابة ٣: ١٩٢-١٩٥.
- (٢) بحار الأنوار ٢٢: ٣٤٣، ط: بيروت.
- (٣) الإصابة ٢: ٣٣٠-٣٣٤ رقم ٤٧٨١، أسد الغابة  
٣: ١٩٢-١٩٥.

(٤) اختيار معرفة الرجال ١: ٢٧٧ رقم ١٠٦.

(٥) كفاية الأثر: ٢٩٠-٢٩١، البحار ٣٦: ٢٨٧-  
٢٨٨، رقم ١٠٩.

(٦) راجع الغدير للعلامة الأمينى ١: ٤٩-٥٢ رقم ٧٦.

(٧) من ذلك ما نظمه الشاعر العبقرى أبو محمد  
سفيان مصعب العبدي الكوفى، في أنشودة  
رثى بها الإمام أبا عبد الله الحسين سيّد  
الشهداء (عليه السّلام)، استنشده إياها الإمام  
جعفر بن محمد الصادق (عليه السّلام) قال  
فيها:

وقدر روي عكرمة في خبر

ما شك فيه أحد ولا أمترا

من ابن عباس على قوم وقد

سبوا علياً فاستراع وبكا

وقال مغتاضاً لهم: أيكم

سبّ آل الخلق جلّ وعلا؟!

قالوا: معاذ الله، قال: أيكم

سبّ رسول الله ظلماً واجترأ؟!

قالوا: معاذ الله، قال: أيكم

سبّ علياً خير من وطن الحصا؟

قالوا: نعم قد كان ذا فقال: قد

سمعت والله النبيّ المجتبى

يقول: من سبّ علياً سبّني

وسبّني سبّ الإله، واكتفى!

\* \* \*

(الغدير ٢: ٢٩٤-٣٠٠).

- (٨) شرح النهج لابن الحديد ٢: ٥٤-٥٥.
- (٩) راجع بحار الأنوار ٣٦: ٢٤٣ و ٢٨٥ و ٤١: ١٦ - ١٧-١٨.
- (١٠) بحار الأنوار ٤٢: ١٨١ رقم ٣٩.
- (١١) رجحه ابن حجر في تهذيب التهذيب ١: ٣٥١.
- (١٢) بحار الأنوار ٨٩: ١٠٥ عن كتاب سعد السعود للسيد ابن طاووس ص ٢٨٥.
- (١٣) سفينة البحار ٢: ١٥١.
- (١٤) وهم: عليّ والحسن والحسين وابن عباس والأشتر. شرح النهج لابن أبي الحديد ١٥: ٨٩، وراجع بحار الأنوار ٤٢: ١٧٦ (ط: بيروت).
- (١٥) راجع: قاموس الرجال (ط: أولى) ٦: ٢ - ٦٥.
- (١٦) طبعت في قم المقدسة سنة ١٣٩٨هـ.
- (١٧) كما قال الزركشي في البرهان ٣: ١٧٥. قال: «وهو مجرد لهذا الشأن».
- (١٨) التفسير والمفسرون ١: ٧٧.
- (١٩) الإتيان ٤: ٢٠٩.
- (٢٠) مقدمة شرح البخاري ص ٤٧٦ - ٤٧٧.
- (٢١) مناهج في التفسير ص ٤١.
- (٢٢) أبو جعفر الطبري - جامع البيان - ١: ٣٦.
- (٢٣) المصدر نفسه.
- (٢٤) الدر المنثور ٥: ٣٤٧. وراجع الطبري التفسير ٢٤: ٣١.
- (٢٥) الإصابة ٢: ٣٣١ - ٣٣٢.
- (٢٦) الدر المنثور ٦: ٢٤٢.
- (٢٧) ابن هشام ١: ٣٢١. تكرر لفظ «الأساطير» في تسع سور مكية: الأنعام ٦: ٢٥، الأنفال ٨: ٣١، النحل ١٦: ٢٤، المؤمنون ٢٣: ٨٢، النمل ٢٧: ٦٨، الأحقاف ٤٦: ١٧، القلم ٦٨: ١٥ والمطففين ٨٣: ١٣.
- (٢٨) راجع ابن هشام ١: ٣٣٠ و ٣٣٥.
- (٢٩) راجع: الإتيان ١: ٢٤ و ٢٦.
- (٣٠) راجع: الإتيان.
- (٣١) التصحيح والتحريف للصحابي: ٣.
- (٣٢) سعد السعود لابن طاووس: ٢٨٥.
- (٣٣) التفسير والمفسرون للذهبي ١: ٨٩.
- \* \* \*